العصبية العائلية والمشاركة السياسية
دراسة حالة فى قرية مصرية *

وفاء سمير **

أولا : أهمية الدراسة

تعد العصبية العائلية سمة رئيسية للبنية الاجتماعية المصرية ، وتكاد تمتد هذه الظاهرة لتلقى بتأثيراتها على واقع الحياة الاجتماعية والسياسية بصور مختلفة ، حيث تجمع بينهما فكرة "المصلحة المشتركة" ، كما تقوم العلاقة بين العصبية العائلية والمشاركة السياسية من خلال اتفاق العائلات وتكتلهم لاختيار من يمثلهم ويستطيع أن يتولى شئونهم ويحقق أهدافهم ومطالبهم .

ثانيا : الإطار التصورى

اعتمدت الدراسة على نظرية العصبية عند "ابن خلدون" وعلى فكرة المصلحة عند كل من "كارل ماركس" و"هابرماس" كإطار تصورى اعتمدت عليه فى تحديد الدراسة وتفسير النتائج .

وتتمثل إشكالية الدراسة فى كيفية فهم وتحليل العصبية العائلية فى علاقتها بالمشاركة السياسية ، والكشف عن الأشكال والتبعات الجديدة التى تأخذها ظاهرة العصبية الآن فى ظل سياق العولمة ، والعوامل التى أثرت عليها .

* ملخص رسالة ماجستير فى الآداب ، قسم الاجتماع ، جامعة بنها ، ٢٠٠٩ .

** مدرس مساعد ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

ثالثا : التعريفات الإجرائية للدراسة

١- العصبيـــة

تعنى الدراسة بالعصبية إجرائيا القوة التى على أساسها تنبنى كل العلاقات بين الأفراد والجماعات المنتمين إلى جماعة معينة والتى تظهر عندما يكون هناك مصلحة مشتركة أو خطر يهددها ، وتتحدد العصبية بمجموعة من المؤشرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ؛ حيث تتمثل المؤشرات الاقتصادية فى الملكية بمختلف أنماطها . أما المؤشرات السياسية فتتمثل فى القدرة على التأثير فى الآخرين بكل صوره ومستوياته . ولا تقتصر العصبية على مجال بعينه بل تظهر على كل مجالات الحياة الاجتماعية .

٢ - المصلحـــة

تعنى إجرائيا سعى الفرد أو الجماعة لتحقيق غرض ما ، وتحقيق هذا الغرض هو أساس تلك المصلحة ، وتتحقق هذه المصلحة من خلال "الوسط" باعتباره المجال الذى توضع فيه المصلحة موضع التنفيذ والذى تنمو من خلاله .

٣- المشاركة السياسية

يمكن تعريفها إجرائيا بأنها قدرة مختلف القوى والفئات الاجتماعية على الإسهام فى اختيار القرارات والسياسات العامة واختيار حكامهم وقادتهم السياسيين بشكل مباشر أو غير مباشر ، لتحقيق المصلحة "العامة والخاصة" وذلك بما يتفق مع آرائها وتوجهاتها . والجماعة المنتمى إليها . وتتم مشاركة تلك الفئات من خلال العديد من القنوات والمؤسسات ؛ كالترشيح لمنصب سياسى أو إدارى ، وعضوية الأحزاب السياسية ، والاشتراك فى المؤسسات التطوعية ، والاشتراك فى الحملات الانتخابية ، والتصويت فى الانتخابات والاستفتاءات العامة .

رابعا : الإجراءات المنهجية للدراسة

١- أهداف الدراسة

يتحدد الهدف العام للدراسة فى التعرف على العلاقة بين العصبية العائلية والمشاركة السياسية .

وفى ضوء الهدف العام تم تحديد عدد من الأهداف الفرعية وهى :

أ – التعرف على فاعلية العصبية العائلية فى المشاركة الاجتماعية بصفة عامة والمشاركة السياسية بصفة خاصة بقرية الدراسة .

ب – الوقوف على العلاقة بين الوعى والمشاركة السياسية .

جـ– الكشف عن أهم دوافع وصور ومحددات المشاركة السياسية .

د – تقديم رؤية مستقبلية لواقع العصبية العائلية فى علاقتها بالمشاركة السياسية .

وانبثقت من هذه الأهداف التساؤلات التالية :

١ – إلى أى مدى تؤثر العصبية على المشاركة الاجتماعية بصفة عامة والمشاركة السياسية بصفة خاصة بقرية الدراسة ؟

٢ – ما العلاقة بين الوعى والمشاركة السياسية ؟

٣ – ما دوافع وصور ومحددات المشاركة السياسية ؟

٤ – ما مستقبل العصبية العائلية وتأثيرها على المشاركة السياسية فى ظل العولمة ؟

٢- المجال الجغرافى للدراسة

تم اختيار قرية الحصة (محافظة القليوبية – مركز طوخ) بطريقة عمدية لمبررات أهمها :

أ – توفر نمط العائلة الممثلة للعصبية والسلطة فيها .

ب – أن بها قيادات من عائلات عريقة ذات عصبية .

وعن كيفية اختيار القرية فقد حاولت الدراسة الاعتماد على آخر تعداد للسكان عام ١٩٩٦ وحاولت من خلاله أن تختار القرية فى ضوء تحديد مجموعة من المؤشرات الكمية والكيفية ولكن أتت تلك المؤشرات مضللة للدراسة ولذلك لم يتم الاعتماد عليها ، واعتمدت الدراسة على الإخباريين وبعض المسئولين الذين استطاعت عن طريقهم أن تحدد قرية الدراسة .

٣ - المجال البشرى

شملت عينة الدراسة ٨٤ حالة من الذكور والإناث بلغت نسبة الذكور (٧٥٪) بواقع ٦٣ حالة ، وعدد الإناث ٢١ حالة بنسبة ٢٥٪ ، وبالقرية محل الدراسة ٥٠ عائلة تقريبا ، تم اختيار سبع عائلات منها من بينهم العائلة (الممثلة للعصبية والسلطة) للتعرف على علاقات الصراع والتحالف بينها وبين العائلات الأخرى ، كما تم اختيار حالات الدراسة لتعبر عن أجيال ثلاثة : جيل كبار السن ، وهم من قيادات العائلات وكبار السن ممن تتوافر فيهم صفة الزعامة ، وجيل متوسطى السن ، وجيل الشباب .

خامسا : طرق وأساليب الدراسة

١- استخدام المعطيات التاريخية المقارنة المتاحة

تم توظيف معطيات التاريخ فى دراسة نشأة القرية وعائلاتها وذلك لمعرفة تاريخها (الاقتصادى - الاجتماعى - السياسى) .

٢ - طريقة الدراسة

اعتمدت الدراسة على طريقة دراسة الحالة باعتبارها أحد الطرق المنهجية التى تسهم فى التعرف على الصورة الكلية لمجتمع القرية ، وتم الاعتماد فيها على دليل دراسة الحالة بقصد فهم أبعاد البنية الاجتماعية لقرية الدراسة .

سادسا : فصول الدراسة

جاءت الدراسة فى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة .

قدم الفصل الأول الإطار التصورى لدراسة العصبية والمشاركة السياسية وفيه تم عرض نظرية العصبية عند "ابن خلدون" ومناقشة المفاهيم الخلدونية ومقارنتها بمفاهيم علم الاجتماع المعاصر ، كما تمت المقارنة بين كل من "ابن خلدون" و "ماركس" ومدرسة فرانكفورت متمثلة فى القضايا التى طرحها "هابرماس" وقد وجدت الدراسة أن نظرية العصبية لم تعد كافية لتفسير الظاهرة مجال الدراسة لذلك اعتمدت فى تفسيرها للعصبية من خلال فكرة المصلحة عند كل من "ماركس" و "هابرماس" حيث تتجسد فكرة العصبية من خلالها .

تناول الفصل الثانى (المحددات الإجرائية والأساليب المنهجية) التى تم من خلالها عرض الدراسات السابقة للاستفادة منها كموجهات نظرية ومنهجية فضلا عن الاستفادة من المتغيرات المرتبطة بدراسة العصبية والمشاركة السياسية ثم كيفية توظيف هذه الدراسات فى تحديد وتوجيه الإجراءات المنهجية للدراسة بالإضافة لتناول المفاهيم والتعريفات الإجرائية كمفهوم العصبية والمصلحة والمشاركة السياسية ، كما تناولت الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية والتى تضمنت تحديد قرية الدراسة وكيفية اختيارها وطريقة دراسة الحالة واستخدام المعطيات التاريخية المقارنة والأسلوب الإحصائى وعينة الدراسة وخصائصها وكيفية اختيارها ومجالات الدراسة وأساليب التحليل والتفسير .

وعرض الفصل الثالث لأهم التحولات فى بنية المجتمع المصرى والتى أثرت على العصبية وطبيعة المشاركة السياسية الناتجة عن تبنى سياسات الانفتاح الاقتصادى والإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى فى تفاعلهما مع العولمة ، وأثر تلك السياسات على ظاهرة التشابكات والتحالفات العائلية والقرابية ليس على المستوى الاقتصادى فحسب ولكن على المستوى المؤسسى أيضا. ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل امتدت بتأثيراتها على واقع الحياة السياسية بصفة عامة والعملية الانتخابية بصفة خاصة . ومن بين ما اهتم به هذا الفصل أيضا أثر السمة العائلية على العملية الانتخابية من خلال تحليل انتخابات مجلس الشعب

بدءا من انتخابات ١٩٧٦ أى بعد الأخذ بالتعددية السياسية حتى انتخابات ٢٠٠٥ .

أما الفصل الرابع فقد خصص للدراسة الميدانية وموضوعها العلاقة بين العصبية والمشاركة السياسية فى قرية الحصة ، لتكون مجالا لدراسة العصبية العائلية والمشاركة السياسية من خلال التوصيف الإيكولوچى للقرية ونشأتها التاريخية ونشأة العائلات بها ، وقد استكملت الدراسة بتوضيح عناصر العصبية داخل القرية من خلال تواجد العائلات بمؤسسات القرية ومشاركتهم اجتماعيا وسياسيا ، وأثر تلك العصبية العائلية على عملية الاختيار للمرشح ودورها فى تحديد دوافع وصور ومحددات المشاركة السياسية وعلاقتها بالوعى والمشاركة السياسية بهدف التوصل لرؤية مستقبلية حول العصبية العائلية وتأثيرها على المشاركة السياسية فى ظل العولمة داخل القرية .

سابعا : نتائج الدراسة

كشفت الدراسة عما يلى :

١ - أن الأصول التاريخية والاجتماعية للعائلات بالقرية تأثرت بالخلفية التاريخية والاجتماعية حيث عكست هذه الخلفية سياقا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا أثر على بنية القرية ، فأقدم العائلات بالقرية هى التى شكلت العصبية على مدى تاريخ القرية فى اتجاه السيطرة والهيمنة على بناء القوة فى القرية حتى الوقت الراهن .

٢ - تتوزع الأدوار داخل المؤسسات الحكومية والأهلية على العائلات بالقرية لتحقيق التوازن العائلى داخل القرية بهدف تجنب الصراعات التى يمكن أن تفسد العصبية العائلية مع الاحتفاظ بفكرة المصلحة وحتى لا يبدو وجود احتكار للسلطة السياسية والمناصب الإدارية من جانب العائلة (الممثلة للسلطة والعصبية) ولضمان نفوذها وسيطرتها داخل القرية مدعمة ذلك بعلاقات من النسب والقرابة مع عائلات القرية .

٣ - هناك علاقة إيجابية بين العصبية العائلية وارتفاع درجة المشاركة الاجتماعية التى تتصل بأمور الحياة اليومية داخل القرية وخارجها .

٤ - هناك علاقة إيجابية بين العصبية العائلية والمشاركة السياسية وهو ما يكشف عنه بوضوح سيطرة العصبية متمثلة فى النفوذ الشخصى وصلة القرابة والمكانة العائلية . ويؤكد ذلك استمرار النفوذ العائلى منذ ستينيات القرن الماضى وحتى الوقت الراهن رغم التحولات التى شهدتها القرية والتى لم تعارض بقاءها وإنما أكدتها .

٥ - لا تعد المتغيرات الاجتماعية (السن والنوع والتعليم والمهنة والحيازة والحالة الزواجية) متغيرات تفسيرية يُعتد بها فى ارتفاع حجم المشاركة السياسية بقرية الدراسة .

٦ - كشفت الدراسة عن وجود وعى بالمشاركة داخل القرية ولكنه وعى مغلق يعكس وعيا بالعصبية وبالمصلحة ، على اعتبار أن هناك ارتباطا بين مصلحة الفرد والجماعة . وقد اتضح ذلك من خلال احتفاظ العائلة بعضوية مجلس الشعب منذ خمسين عاما مضت ، نظرا لما يجمع بينهم من علاقات قرابة ونسب ومصاهرة وصداقة والعيش معا .

٧ - تمثلت محددات المشاركة السياسية فى النزعة العصبية والانتماءات العائلية والقرابية والاعتبارات الشخصية وهو أمر لا يعكس درجة عالية من المشاركة السياسية ، ومن ثم فالعصبية والمصلحة هما ضمان الاستمرارية فى المشاركة السياسية والحفاظ عليها .

٨ - على الرغم من التطورات التى يشهدها المجتمع المصرى والتى أثرت على مجتمع القرية إلا أن العصبية تظل قائمة ويمكنها أن تتكيف وتتعايش وتعدل من نفسها لتتلاءم مع ظروف أكثر تطورا .